الفصل الرابع

فى الأسباب التى تعين الناس على القيام بالحق

الآيـــــــات

١ - ﴿ .... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ..... ﴾ (البقرة: ٢٦)

٢ - ﴿ .... فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ .... ﴾ (البقرة: ٢١٣)

٣ - ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ..... ﴾ (المائدة: ٨٣)

٤ - ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (المائدة: ٨٤)

٥ - ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الاعراف: ٣٠)

٦ - ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٤٦)

٧ - ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٤)

٨ - ﴿ . . . . أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ١٣)

٩ - ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ٦٢)

١٠ - ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

١١ - ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ . . . . . ﴾

(التوبة: ١١١)

١٢ - ﴿ ..... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ..... ﴾

(الرعد: ١٧)

١٣ - ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ..... ﴾

(الرعد: ١٩)

١٤ - ﴿ ..... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الأنبياء: ٢٤)

١٥ - ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الحج: ٥٤)

١٦ - ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾

(النمل: ٧٩)

١٧ - ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ..... ﴾

(القصص: ٥٣)

١٨ - ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾

(الروم: ٦٠)

١٩ - ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾

(الزمر: ٢)

٢٠ - ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (غافر: ٥٥)

٢١ - ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (غافر: ٧٧)

٢٢ - ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ..... ﴾ (فصلت: ٥٣)

٢٣ - ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ..... ﴾ (الاحقاف: ٣٠)

٢٤ - ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢)

٢٥ - ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ .... ﴾ (محمد ٣)

٢٦ - ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ..... ﴾ (الحديد: ١٦)

٢٧ - ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ (النبأ: ٣٩)

٢٨ - ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

(سورة العصر)

إن القيام بالحق الذى أوجبه الله يقتضى تجنب المؤثرات التى تميل بالناس عن الحق[1] والأخذ بالأسباب التى تعين على القيام بالحق.

ومن أولى الأسباب التى تعين الناس على القيام بالحق والحرص عليه والتمسك به والثبات عليه.

أولاً : العلم بالحق والإيمان به. فذاك هو السبيل للهداية إليه والتسليم به وعدم التشكيك فيه فإن معرفة الشىء أصل فى الإيمان به. والإيمان به داع للعمل بمقتضاه فالعلم بأنه لا اله إلا الله أصل فى حسن التوجه إليه وإخلاص الدين له وتحقيق الخشية منه.

والعلم بأن محمدا عبده ورسوله أصل فى القيام بما دعا إليه والكف عما نهى عنه والعلم بما جاء به أصل فى حسن اتباعه ولزوم طاعته.

فان من جهل الحق أعرض عنه وفرط فيه ولم ينهض للقيام به.
ومن كفر بالحق ـ بعد البيان عاداه وحاد عن طريقه وتفرقت به السبل واستهوته الشياطين وحرم الهداية وضل السبيل.

وهداية الله إلى الحق إنما تطلب بالإيمان الصادق والعمل الصالح.
والذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله. وهؤلاء يمارون فى الحق ويستهزءون ويسخرون من الذين آمنوا ويعاندون. وكفى بذلك بعدا عن الحق وإعلاناً عن الكفر وايغالا فى الجهل ومدعاة إلى الافتراء والكذب. ومن عقابهم على إعراضهم وكفرهم أن يكون ما أنزل ـ ليكون سببا فى الهداية ـ زيادة لهم فى الضلالة.

(١) يراجع الفصل الثالث من الباب الرابع، وفيه بيان المؤثرات التى تميل بالناس عن الحق، ص.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الاسراء: ٨٢)

﴿ ..... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف: ٥٧)

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾

(الاسراء: ٤٥، ٤٦)

ان العلم بالحق والإيمان به يقودان إلى الاذعان واليقين والاستقامة وحسن العاقبة. والكفر بالحق ـ بعد بيان ـ يسوق إلى المراء والكذب والعناد والفسوق وسوء العاقبة والمصير.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ (النحل: ١٠٤ - ١٠٥)

ولا يستوى عند الله محسن ولا مسىء:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ (ص: ٢٨)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (يونس: ٩، ١٠)

ثانيا: حسن الاستجابة للحق والرغبة فيه:

فذاك يحقق الحب فى مناصرته وتأييده وخضوع النفس له:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (المائدة: ٨٣، ٨٤)

ثالثا: ايثاره على من سواه:

فان من آثر الحق سلك سبيله وهدى إليه. ومن آثر الباطل اتبعه واتخذ الشياطين أولياء. والناس فريقان. فريق أحب الحق فهدى إليه وفريق آثر الضلالة فحقت عليه ولا يظلم ربك أحدا.

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠)

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٤٦)

رابعا: النظر إلى العواقب:

فان من نظر إلى عاقبة أمرٍ أخذ نفسه به أو كف عنه.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾

(المؤمنون: ٦٠، ٦١)

ومن عرف أن العاقبة لمن قام بالحق واستجاب له. ثابر فى أداء فرائضه والقيام بواجباته.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢ ـ ٤)

خامسا: تقديم خشية الله ومرضاته على خشية الناس ومرضاتهم:

فان من خشى الله آثر رضاه ولو سخط عليه الناس. ومن خشى الناس أرضاهم ولو بسخط الله وفى ذلك نكوص عن الحق ومجانبة له وتفريط فى التمسك به والقيام بما أوجبه:

﴿ ... أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ١٣)

﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة: ٦٢)

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

(التوبة: ١٠٨)

سادساً: الثقة فى وعد الله واليقين فى الوفاء بعهده:

فان ذلك يعين على تطويع النفس لما أمرت به واخضاعها وما ملكت لمرضاة ربها. ومن أيقن بالجنة سارع إلى الخيرات. ومن أيقن بالنار كف عن المحرمات

ومن الثقة فى وعد الله ما كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول «لئن بقيت حتى آكل تمراتى تلك أنها لحياة طويلة» بعد أن قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». إن الثقة فى الوعد جعلته يستبطىء أن يبقى ليأكل تمرات لا يستغرق أكلها دقائق معدودات. وَدَعَاهُ ذلك أن يقوم بواجب الحق فى بسالة واحتساب ويقين.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

(التوبة: ١١١)

سابعاً: النظر فى آيات الله نظر تدبر وتبصرة وتذكرة:

فان ذلك يعين على النهوض بالحق والعلم به وإدراك خصائصه ونتائجه:

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ

﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد: ١٧ - ١٩)

وكثير من الناس يستعمل حواسه للمتاع ولا يزيد ولا يأخذ من الآيات ما جعلت له من التبصرة والذكرى.

﴿ ... وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد: ١٢)

وقصر الحواس على المتاع ينزل بالإنسان عن مرتبة الأنعام:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(الأعراف: ١٧٩)

فان القدر الذى يحصله من المتاع فى طعام وشراب تحصله الأنعام وتشاركه فيه ﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ (النازعات: ٣٣)، (عبس: ٣٢)، ﴿**كلوا وارعوا أنعامكم**﴾ (طه: ٥٤). ﴿**أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**﴾ (السجدة: ٢٧). ولكن التبصرة لمعرفة الحق والتذكرة للثبات عليه والقيام به تخص الانسان ولا ينالها إلا من عبد الله وأناب إليه:

﴿ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ

﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق : ٦-٨)

وهؤلاء يستعملون حواسهم استعمال تبصرة وتذكرة ولا يقصرونها على طلب اللذة والمتاع. فتكون حواسهم عونا لهم على معرفة الحق وعقولهم عاملة فى تدبر آياته وفقه شرائعه واتباع سبيله. ومن قصر حواسه على متاعه فقد أغلق على نفسه منافذ العلم بالحق ورؤيته وحرم الهداية إليه والإقبال عليه:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان : ٤٤)

﴿ ... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٤)

ومن أجل التدبر كانت الآيات ومن أجل التبصرة تآخت آيات الوحى مع آيات الله فى الآفاق وفي الأنفس فى مخاطبة الانسان وهدايته وهو مزود بأسباب العلم والمعرفة فلا عذر لمن أعرض أو استعمل الأسباب في غير ما خلقت له. وطالبُ الحق مُعانٌ عليه. ومن خشع قلبه للحق هدى إلى سبيله ومن أعرض عنه أوشك فيه أخذ به.

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (الحج : ٥٤، ٥٥)

ثامنا: التوكل على الله:

فإن من أيقن بالحق حرى به أن يتوكل على الله حتى يستطيع أن ينهض بفرائضه وواجباته ويثبت أمام المعادين له وما أكثرهم والمتربصين به والكائدين له وأن يصبر على ذلك.

والتوكل على الله أخذ بالأسباب دون ركون إليها واعتماد على الله دون تفريط فى القيام بها. مع اليقين بأن النتائج بيده وحده لا شريك له ومن رحمته بخلقه أن هيأ الأسباب وأمر عباده أن يأخذوا بها. وَتَرْكُ الأسباب معصية والركون إليها ـ من دون الله ـ ضلال ومفسدة. ومن عرف ذلك اتخذ من الأسباب سبيلا لمرضاته وحسن توكله عليه. ولم تصرفه الأسباب عن شكره وذكره والتسبيح بحمده. والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه فيقول وهو يأخذ بالأسباب: «اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا».

وهذا هو قول المؤمنين وهم ينعمون برحمة الله ﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾. وهم يذكرون فضله وهدايته. والله بفضله ورحمته يذكر عملهم وسعيهم. ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

الله يذكر عملهم وهم لا يذكرون إلا هدايته ورحمته. ولو ذكروا عملهم ما نالوا فضل ربهم ولو ركنوا إلى الأسباب التى قاموا بها لحرموا رحمة الله التى أدخلوها وفازوا بها. وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته». مع أنه الآمِرُ بالعمل والداعى إليه وهو يعلِّم ويزكى. ومن التعليم والتزكية ألا يركن أحد لعمله وينسى فضل ربه ﴿الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾.

ولا يستطيع النهوض بتبعات الحق إلا من أحسن التوكل على الله واعتمد عليه دون سواه: ﴿فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾. (النمل: ٧٩).

﴿ ..... وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ
أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (ابراهيم: ١١، ١٢)

ويعقوب عليه السلام وهو يأمر أولاده أن يأخذوا بالأسباب ينصحهم ألا يركنوا إليها أو يظنوا أنها مغنية عنهم من الله شيئا ويثنى الله عليه ويبين أنه ذو علم فيما دعا إليه وأمر به:

﴿ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٦٧، ٦٨)

تاسعا: أن يطيب نفسا بما يُصَدِّق الحق الذى يعرفه وألا يضيق صدرا بالداعين إليه والمؤمنين به. فان طلاب الحق دعاة إلى الحق لا إلى أنفسهم فحيث كان الحق كانوا معه وله ولو كان مع عدوهم. وتلك تستوجب الإخلاص للحق والتجرد له. وكثير من أهل الكتاب كذبوا بالحق لما جاءهم لأن الداعى إليه ليس منهم مع أن ما يدعوهم إليه مصدق لما معهم. فإنكارهم للحق الذى جاء به إنكار للحق الذى معهم. ومنهم من أخلص للحق وصدق به فلم يضق بالمؤمنين والداعين إليه بل أيدهم ونصرهم ورأى فيهم سندا لما يؤمن به فآتاهم الله أجرهم مرتين لإيمانهم بالحق من قبل ومن بعد.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (القصص: ٥٢ ـ ٥٤)

وشتان ما بين الموقفين. بين من يعرف الحق فيعرف أهله وبين من يرى الحق فى نفسه ولا يراه مع غيره ولو كان مصدقا لما معه. هذا قد أعماه الغل والحسد وصرفه عن الاستجابة للحق من بعد ما تبين له. وذاك قد طابت نفسه وسلم قلبه فلم يحمل غلا ولا حسدا بل وجد إخاءً وَحُبًّا. ولا يقوم بواجب الحق الا من سلمت نفسه من هواها وخلصت من شهوات العجب والكبر ونزوات الحسد والغل فان هذه الأمراض تحول بينه وبين الإيمان بالحق فضلا عن مناصرته وتأييده. وأخطر ما تكون هذه الأمراض عندما يصاب بها من يزعمون الإيمان بالحق ويتصدرون الدعوة إليه أو يبدون الغيرة عليه. انهم يعمدون إلى النيل من غيرهم والاساءة إليهم باسم الغيرة على الحق والوفاء للدعوة إليه. وهم فى الحقيقة يدعون إلى أنفسهم لا إلى الحق. وتلك مأساة اليهود من قبل ومأساة كل من شاكلهم ممن يرون أنفسهم ولا يرون غيرهم وأن الحق لهم لا لأحد سواهم. وهؤلاء وأولئك يتلاشى مع الزمن ولاؤهم للحق وإيمانهم به ويصبح ولاؤهم لشهواتهم وايمانهم بمنافعهم، وإلههم هواهم. والحق تُطَوَّعُ له النفوس ولا يطوع لها ويُتَّبَعُ ولا يَتَّبِع. فمن أراد نصرته والقيام بفرائضه. فعليه أن يتجرد له وألا يجد فى نفسه حرجا من قبوله ومناصرة أهله.

عاشرا: الصبر: اذ لا يستطيع نصرة حق من لا يعتصم بالصبر ومما يعين عليه النظر إلى عاقبة الثبات على الحق من ظفر وفوز.

وكم من ناس قد استدرجتهم العاجلة واستخفهم الذين لا يوقنون فلم يصبروا ساعة على القيام بالحق. والاعتصام بالصبر يقترن بالثقة فى وعد الله وأنه حق وأن العاقبة لا تكون الا لِمُحق.

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (الروم: ٦)

ويقترن كذلك بذكر الله واستغفاره والتسبيح بحمده. فذاك مصدر قوته وصيانته من الجزع وملازمته للحق وامتزاجه به:

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (غافر: ٥٥)

كذلك يقترن الصبر بالثقة فى مصارع المبطلين وأنهم وإن كثر جمعهم غثاء لا يلبث أن يزول وأنهم لن يفلتوا من دمار عاجل أو عذاب آجل.

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (غافر: ٧٧)

فيكون صبر المؤمن مع الحق صبر واثق مطمئن فيمضى فى طريق الحق بخطى ثابتة وهو يعرف العواقب ويسعى إليها ويرغب فيها. فمن أيقن بلقاء ربه صبر على ما يلاقيه فى سبيله. ومن أيقن بالحساب بين يديه صبر على ما تشتهيه نفسه فكفها عما لا يحل لها وجنبها سبل الباطل. وسلك بها طريق الحق. ومن أيقن أنه يجد عمله حاضرا عند ربه سابق الى الخير وأكثر منه وتجنب الشر وابتعد عنه. وللصبر أسبابه ونتائجه: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾. (النحل: ١٢٧). ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢).

فبالله ومن الله يستمد الصبر. ومن أجله وابتغاء مرضاته يكون:

﴿ ... وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥ ، ١٥٦)

حادي عشر: الاخلاص فى عبادة الله وعدم الإشتراك به:

فذاك هو الأصل الأصيل الذى يعين على القيام بالحق والاهتداء بكتابه والعمل بمقتضاه. ومن فاته الاخلاص لله ضعف قيامه بالحق وفترت همته. وما صحت عزيمة من قام بالحق إلا بصدق الاخلاص لله:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ (الزمر: ٢)

ثاني عشر: الحرص على تبين الحق ومعرفته فى كل شأن وسبيل ذلك آيات الله المنزلة على نبيه وآياته فى الآفاق وفى الأنفس.

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ..... ﴾ (فصلت: ٥٣)

وهذا يستلزم حسن النظر والتدبر وصدق الاسوة واتباع من أوحى إليه صلى الله عليه وسلم. فالبيان بيانه والسلامة فى اتباعه.

﴿ ..... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤)

ومن خفى عليه وجه الحق فى أمر ما فعليه أن يسأل أهل الذكر وأن يستبصر بأولى العلم. ولا يمضى فى أمر يشتبه فيه إلا بعد أن تزول شبهته ويستيقن بأنه فى طريق حق ويتبين له ما خفى عليه أو اشتبه فيه... «والحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس» ومن استبرأ لدينه وعرضه فعليه أن يتقى الشبهات وأن يبتعد عما

اختلط عليه والتبس حتى يتبين له وجه الحق ويهدى إلى طريق مستقيم . وهذا ما كان عليه الجن وما صاروا إليه عندما سمعوا القرآن :

﴿ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(الأحقاف : ٣٠)

فالاهتداء إلى الحق بالكتاب والهدى إلى الطريق المستقيم بحسن الاتباع . ومن طلب الحق من غير ذلك أساء القصد وضل سواء السبيل .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ (محمد : ٢ ، ٣)

ثالث عشر: تعهد القلب بالموعظة حتى لا ينسى أن الحق الذى نزل إنما نزل لهدايته وتبصرته فلا يشغل بيوم ذاهب عن اليوم الحق ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ . (النبأ : ٤٠) ﴿ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾ . (النبأ : ٣٩) .

وكثير من الذين اوتوا الكتاب من قبل قست قلوبهم عندما أهملوا الموعظة وشغلوا عن التبصرة وحادوا عن الطريق .

﴿ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

(الحديد : ١٦)

وخير ما يحقق ذلك حسن الصلة بكتاب الله والمداومة على تلاوته وتدبره أو السماع إليه والإنصات عنده. وأن يأخذ منه زاده اليومى لقلبه كما يأخذ طعامه لجسده.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر: ٢٣)

رابع عشر: أن يلزم جماعة المسلمين فان يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار. يؤدى النصح لهم ويقبل النصيحة منهم وهم يتعاونون على البر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر ويؤدون فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بر ورشد وحكمة وصدق. فذاك هو السبيل للفوز والفلاح.

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة العصر)

ولا يخفى ما فى آيات هذه السورة الجامعة من بيان للخروج من الخسران: **ايمان** . . **وعمل صالح** . . **وتواص بالحق** . . **وتواص بالصبر**: لا يقوم به الإنسان وحده بل يؤديه مع أمة تتواصى عليه وتؤمن به وتقيم فرائضها مجتمعة غير متفرقة «فعليكم بالجماعة. فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية[1]» فذاك مما يعين الفرد على القيام بالحق الذى أوجبه الله عليه.

ومن انفرد بنفسه أستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه فضيع الأمانة وفرط فى أداء الحق.

(١) رواه أبو داود باسناد حسن عن ابى الدرداء رضى الله عنه.

وروح الجماعة سارية فى صفات الذين يخرجون من الخسران فهم: الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وهم جمع فى ذواتهم وإيمانهم وأعمالهم وهم جمع فى تواصيهم بالحق وتواصيهم بالصبر. ولا يتصور تواص بلا جمع. وجمع يبقى راشدا بلا تواص بالحق والصبر. فلزوم الجماعة أمر لا بد منه لِمَنْ أراد النهوض بالحق والقيام به. واذا كان المجتمع البشرى يلتقى بفطرته للتعاون فى استكمال أسباب معيشته فإن دواعى الفطرة توجب التواصى بالقيام بأسباب صلاحه والمحافظة على حقوقه وحرمته. ولن يكون ذلك إلا بإيمان صادق وعمل صالح يرتبط بالحق ويصان بالصبر تنهض به أمة يصدق تعاونها على البر والتقوى ويقوى ساعدها على دفع العدوان والإثم ولا تستضعف وهى تقوم بالقسط وتحكم بين الناس بالحق.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد: ٢٥)